الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

تداعيات

هجوم فورت هود.. عملاً بطولياً أم انتحاراً دعائياً؟

في السادس من تشرين الثاني الجاري فتح الميجر نضال مالك حسن النار من مسدسين آليين على مجموعة من الجنود كانت تستعد لإنهاء معاملات نشرهم في افغانستان، في المركز المعد لهذا الغرض بقاعدة فورت هود، كبرى القواعد العسكرية الاميركية في العالم. واصل الميجر اطلاق حوالي مئة رصاصة قبل ان تصيبه ضابطة صف متمرسة على القتال وتوقفه عن قتل المزيد. واسفر الهجوم عن مصرع ١٢ جنديا ومدنيا واحدا واصابة اثنين واربعين آخرين بجروح مختلفة قد تؤدي ببعضهم الى الإعاقة مدى الحياة.

علاء خالد غزالة

وعلى الفور بدأت التحقيقات حول اسباب هذا الهجوم المفاجئ ودوافعه الخفية وما اذا كان الميجر يعمل بمفرده ام انه كان يتقلى توجيهات او فتاوى تحضه على هذا الفعل. وتشير التقارير الاولية الى ان الميجر نضال مالك حسن، الاميركي المولد والفلسطيني الاصل، لم يكن بالشخص العنيف او المتطرف، رغم ما ذكره زملاؤه في الخدمة من ادانته الحروب في افغانستان والعراق. كما ان جيرانه والاشخاص العاملين معه اصيبوا بالصدمة لما بدر منه، حيث كان ذلك آخر ما يتوقعوا ان يفعله.

وقال ابن عم له، يعيش في القدس، في مقابلة تلفزيونية انه كان يعاني التفرقة العنصرية داخل الجيش لكونه مسلماً، على الرغم من تدرجه في سلم الرتب العسكرية ليصل الى رتبة ميجر (وهي تعادل رتبة رائد). وقياسا الى عمره البالغ ٣٩ عاما، وتاريخ انتمائه الى الجيش الاميركي في عام ١٩٩٧،لايبدو انه قد تأخر كثيرا في نيل هذه الرتبة، وهي علامة واضحة على عدم وقوعه ضحية لتفرقة بسبب الدين او العرق.

وتجري التحقيقات حاليا في علاقته المزعومة مع رجل الدين المتشدد اليمني الاصل انور العولقي، وهو المرشد الروحي لاثنين من المشاركين في هجمات ٩/١١، هما خالد المحضار ونواف الحازمي. حيث تشير التحريات الى انه اتصل برجل الدين هذا، الذي كان إمام جامع دار الهجرة الواقع بالقرب من العاصمة الاميركية، واشنطن، في اواخر عام ٢٠٠٨. غير ان عناصر مكتب التحقيقات الفيدرالي يقولون انهم لم يأبهوا لهذه الاتصالات كون المجير كان يجري تحقيقات لصالح الجيش في ذلك الوقت، واعتبر من الطبيعي ان يقوم بمثل هذه الاتصالات.

يذكر ان التدرج في الرتب العسكرية في القوات المسلحة الاميركية يتطلب الحصول على الموافقات الامنية بين الفينة والاخرى، وقد حصل الميجر نضال على درجة (سري)، أي انه لم يبعد سوى خطوة واحدة عن اعلى درجات الموافقات الامنية وهي (سري للغاية)، وهو ما يؤهله الحصول على معلومات سرية وحساسة.

وبناء على ما تقدم لا يبدو ان الميجر نضال كان مرتبطا بشكل مباشر مع خلية متطرفة تعمل على التخطيط لهجمات ارهابية في الولايات المتحدة. ولو كان الامر كذلك فلربما كان سيكون اكثر فائدة لتلك الخلايا من خلال المعلومات السرية التي يمكن ان يقدمها لهم، ولفترات طويلة قبل ان يفتضح امره. فالمكان الذي جرى فيه الهجوم لم يكن مغلقا على العامة، وبالتالي كان بإمكان الكثيرين القيام بما قام به دون الحاجة الى أن يكون برتبة ما في الجيش مثلا. أما قدرته على حمل السلاح وادخاله الى القاعدة العسكرية فهو ليس بالامر المعجز كذلك، حيث ان تلك القواعد، التي يقطنها عدد كبير من الناس المدنيين والعسكريين على السواء، لا تخضع الداخلين اليها الى اجراءات تفتيش صارمة. يذكر ان قاعدة فورت هود تضم بين جنباتها اكثر من خمسين الف شخص بين مدني وعسكري.

وقال احد الجرحى انه سمع المهاجم يهتف (الله اكبر) باللغة العربية قبيل مباشرته بإطلاق النار على الجنود، وهو ما يدل عادة على هجوم انتحاري. غير ان تلك الشهادة لم تتأكد من شهود آخرين. كما ان هذا الهتاف لا يعني بالضرورة ان تلك العملية كانت (ارهابية). بل ان المسلمين يهتفون (الله اكبر) في مواقف ومناسبات شتى، وليس من العجب ان يقولها شخص يوشك على انهاء حياته، ظنا منه انه بهذا الفعل سوف ينال رضا الباري عزّ وجل.

نعم، كان الميجر نضال على وشك ان يُرسل الى افغانستان، وهو ما كان يرفضه علنا. لكنه قام بالفعل بتوكيل محام لغرض إخراجه من الخدمة العسكرية، أي انه اتبع الطرقَ القانونية للحيلولة دون ارساله للخدمة في حرب يرفضها. بيد انه كان طبيبا نفسيا في قاعدة فورت هود، وكان يتعامل مع حالات الصدمة التي يعانيها الجنود العائدون من الخدمة في مناطق الحرب. وفي رأيي انه تأثر كثيرا بقصص هؤلاء الجنود عن فظائع الحرب. وكونه اعزبا ويعيش وحيدا ربما اثر في نفسيته وجعلته يعاني الكآبة التي تدفع الى الانتحار في بعض الاحيان. وفي اللحظة التي قرر إنهاء حياته، ربما كان يريد ان يكون هذا الانتحار امرا عاما. يضاف الى ذلك انه ربما تأثر بالدعاية المتطرفة التي تجيز قتل الاميركيين والغربيين في أي زمان ومكان باعتبارهم كفارا، فعزم على فعل هذا الامر الذي سوف يجعله من (الشهداء) فينال المرتبة اللائقة في الحياة الآخرة، وينهي في نفس الوقت حياته التي بات يشعر بأنها تعيسة من دون ان يتعرض الى العقاب الالهي لارتكابه جرم الانتحار.

واذا قيل ان هناك تناقضا حول زعمي انه لم يكن يقوم بعمل ارهابي، ومع ذلك فقد ارتكب فعلا يندرج ضمنه، فإني أجيب بأن ليس هناك من تناقض. فالفعل الارهابي انما يكون باعتناق الفكرة المتطرفة اولا ومن ثم التخطيط للهجوم وتنفيذه. وفي حال نضال مالك حسن، ليست هناك من بوادر الى انه اعتنق الفكرة بدءا، وأرى ان هدفه كان انهاء حياته، لكنه كان مثقلا بالشعور بالذنب ان نفذه بالطرق التقليدية. ومن ثم عمل على ايجاد العذر المناسب من خلال ادبيات التطرف التي وفرت له طريقا سهلا للانتحار من دون الشعور بارتكابه إثماً.

ولا يخلو التاريخ الاميركي الحديث من اناس ارادوا الموت بهذه الطريقة، ونذكر منهم مهاجم الرئيس رونالد ريغان مطلع الثمانينيات، والذي انما اراد ان يكون موته حديثا لوسائل الإعلام وعامة الشعب ويصبح بذلك من المشهورين، بدل ان يلف الحبل حول رقبته في حمام منزله.

ان من شأن هذه الحادثة ان تؤثر على وضع المسلمين في الولايات المتحدة كما هو متوقع. وقال احد كبار جنرالات الجيش الاميركي انه ستجري مراجعة شاملة لكل الحالات المشابهة لحالة الميجر نضال، وان لم يحدد المسلمين على وجه الخصوص. واتكهن ان يصبح من الصعب على العرب والمسلمين ان يتدرجوا في المناصب الحكومية والعسكرية الاميركية، وربما في البلدان الغربية الاخرى نتيجة لهذه الواقعة.

ان هذا الهجوم قد يلحق اذى كبيرا بين اوساط الجالية الاسلامية في الولايات المتحدة التي تكافح من اجل الاندماج مع مجتمع الدولة المضيفة، خصوصا بعد أحداث ٩/١١، التي لم يكد الشعب الاميركي ينساها. ففي كل مرة يحدث مثل هذا الهجوم تسعى تلك الجالية، في معظمها، الى استنكار ما حدث والبراءة منه، شعورا منها بأن أصابع الاتهام قد توجه اليها. ولسخرية الاقدار، كان الميجر نضال من بين من دانوا هجمات منهاتن.

واذا كان لي ان اقترح أمراً فإني أدعو الى مراجعة النظريات المتطرفة التي تمجد الانتحار من اجل القضية، كائنة ما تكون، والتي تقدم تبريرات غير مستندة الى منطق او تأويل صحيح عن قتل الآخرين والاستهانة بحيواتهم. على رجال الدين من الطوائف كافة ان يدينوا عمل الانتحار مهما كان الدافع. ان السماح والدعوة إلى قتل الذات من اجل القضية التي تعد –عرفا– مشروعان قد يؤديان إلى شرعنة كل القضايا الاخرى، ويسبب ضبابية في فهم المشروعية بحد ذاتها، ويخضعها لتفسيرات ذاتية قد تساعد الشخصية المضطربة على التحلل من قواعد الأخلاق الصارمة.

ذاكـــرة

النـــائـــب الـعـــام

> ترددت طويلا في الكتابة عن المستشار (عبدالمجيد محمود)، النائب العام الحالي، والذي لفت أداؤه نظر كل المصريين، خاصة المهتمين بالشأن العام، ولكنني وجدت في النهاية - ومهما كانت المحاذير - أن الواجب يفرض على الإدلاء بشهادتي، في ظل معرفتي به وتعاملي معه - وهو كمحقق وأنا كمتهم - منذ أكثر من ثلاثين عاما.

حسين عبدالرازق

لقد عرفت المستشار عبدالمجيد محمود - وكيل أول النيابة - عام ١٩٧٧ أثناء التحقيق في القضيتين ١٠٠ و١٠١ حصر أمن الدولة العليا بعد انتفاضة ١٨ و١٩ يناير/ كانون الثاني ١٩٧٧ التي سماها السادات (انتفاضة الحرامية) وأطلقت عليها الصحافة العالمية (انتفاضة الخبز)، لم أمثل أمامه بعد القبض علي فجر ٢٠ يناير ١٩٧٧ للتحقيق فالمحقق كان المستشار الفاضل يوسف دراز، ولكن اللقاء الاول كان عقب مصادرات (الأهالي) (الأولى) عام ١٩٧٨ ومرافعته أمام المحكمة في ٢٠ أغسطس/ آب، مطالبا بتعطيل (الأهالي) ثم عقب اقتحام مباحث أمن الدولة بصحبة النيابة في ١٨ يناير/ كانون الثاني ١٩٧٩ لمقر حزب التجمع وتفتيشه، بعد إلغاء احتفال الحزب بمرور عامين علي انتفاضة ١٨ و١٩ يناير، وإلقاء القبض علي من منزلي بعد ذلك، والتحقيق معي في نيابة أمن الدولة، وتوالت الحملات الأمنية وبلاغات مباحث أمن الدولة وإلقاء القبض علي، وكان من حظي المثول أمام (عبدالمجيد محمود) للتحقيق معي عام ١٩٧٩ بتهمة المشاركة في تأسيس وإدارة (الحزب الشيوعي المصري)، ثم في عام ١٩٨١ بنفس التهمة، وتقديمي للمحاكمة في القضيتين، وقبل ذلك في قضية التحريض على أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧، والحكم علي بالبراءة بعد ذلك في القضايا الثلاث.

في الثمانينيات حقق معي المستشار عبدالمجيد محمود، كرئيس لنيابة أمن الدولة العليا وكمحام عام لنفس النيابة أكثر من مرة في قضايا صحفية بصفتي رئيسا لتحرير (الأهالي) (١٩٨٢ - ١٩٨٨).

خلال هذه السنوات العشرين عرفت من أداء (عبدالمجيد محمود) معنى أن النيابة تمثل المجتمع وهي الأمينة على الدعوى والحريصة على مصالح المجتمع، لم يكن في تحقيقاته خصما للمتهم وإنما باحث عن الحقيقة وملتزم بروح القانون ويحرص على تنبيه المتهم إلى حقوقه ولفت نظره لأي قول يصدر عنه قد يسيء إليه، وإضافة إلى معرفته الواسعة بالقانون كان واسع الثقافة في مجالات متنوعة وقارئا نهما ومتابعا للحياة السياسية والصحفية، وكان الجانب الإنساني بارزا في معاملته المتهمين، أذكر أنني وزوجتي فريدة النقاش كنا متهمين في قضية الحزب الشيوعي ١٩٨١ ومحبوسين على ذمتها، أنا في سجن ليمان طرة، وفريدة في سجن القناطر الخيرية، وتكرر استدعاؤنا للتحقيق في مواعيد مختلفة، وكنت في شوق للقائها بشدة، وعبرت عن ذلك أمام عبد المجيد محمود، وبعد أيام فوجئت باستدعائي للتحقيق مرة أخرى، لأجد فريدة في الاستراحة تنتظر استدعاءها للتحقيق، وأمضينا معاً ما يقرب من ساعتين قبل استدعائنا الواحد تلو الآخر للتحقيق.

وفي يونيو / حزيران ١٩٨٤ وعقب انتخابات مجلس الشعب نشرت في (الأهالي) تحقيقا حول تزوير الانتخابات، كتبه صلاح عيسى ووجه فيه الاتهام لوزير الداخلية ووزير الحكم المحلي (اللواء محمد سعدالدين مأمون) - أحد أبطال حرب أكتوبر/ تشرين الأول - بالمسؤولية عن هذا التزوير، وتقدم وزير الحكم المحلي ببلاغ لنيابة أمن الدولة العليا يتهمني بالقذف والسب في حقه، وبعد التحقيق معي - وكان عبد المجيد محمود رئيسا لنيابة أمن الدولة - تقرر حفظ الدعوى إدارياً..

وجاء في قرار الحفظ أنه في (ظل تطبيق النظام الديمقراطي والحياة النيابية الحزبية في البلاد - وعلى ضوء المبادئ التي سبق أن أرستها محكمة النقض في مرحلة من مراحل تطور أحكامها في هذه الصدد - فإن القصد الجنائي لا يتوافر ولا يفترض بمجرد نشر العبارات مع العلم بمعناها، وإنما يجب البحث في جميع ظروف الدعوى لمعرفة ما إذا كان قصد الناشر للمقال منفعة البلاد أو مجرد الإضرار بالأشخاص المطعون عليها، إذ إنه من المتفق عليه في جميع البلاد الدستورية أن الطعن على الخصوم السياسيين يجوز قبوله بشكل أعم وأوسع من الطعن في شخص معين بالذات وأن المناقشات العمومية مهما بلغت من الشدة في نقد أعمال وآراء الأحزاب السياسية يكون في مصلحة الأمة التي يتسنى لها بهذه الطريقة أن تكون رأيا صحيحا في الحزب الذي تثق به، كما جاء في مبادئ أحكام النقض في هذا الصدد أيضا جواز حمل العبارات على معنى النقد - في هذا المجال - ولو استعمل فيها الكثير من الشدة ومن قوارص الكلم، ولو جاءت على سبيل المبالغة).

ومنذ تولي المستشار عبد المجيد محمود منصب النائب العام، أصبح النائب العام هو الملجأ لكل الفئات والجماعات والأفراد التي يقع عليها عدوان أو ظلم أو خرق للقانون، سواء كان من جانب السلطات أو من أفراد يملكون القوة والحماية، وتجاوب النائب العام ومعاونوه مع شكاوى الناس ووقفوا إلى جانبهم بفهم صحيح لروح القانون وأهدافه دون خوف من حاكم أو صاحب نفوذ، والقائمة طويلة أكتفي بالإشارة إلى ثلاثة منها.. استئناف الحكم في قضية غرق العبارة السلام، إحالة الصحيفة التي نشرت أخبارا كاذبة ضد الفنان الكبير نور الشريف إلى المحاكمة العاجلة، إلغاء قرار محافظ الغربية بطرد ٤٠٠ فلاح من أراضيهم لتخصيصها لمستثمر يريد بناء فندق ومجمع تجاري وإعادة الأرض إلى الفلاحين.

تحية للنائب العام، الذي قدم الصورة الصحيحة لما يجب أن تكون عليه النيابة العامة في أي مجتمع متحضر.

يوتوبيا

حنين للاشتراكية

فريدة النقاش

قبل ما يزيد علي ربع قرن قدم المخرج السينمائي البولندي تاركوفسكي فيلمه (الحنين) الذي أخرجه بعد أن كان قد هاجر من بلاده قبل ذلك بأعوام محتجا على القيود على الحريات العامة التي كانت المرحلة الستالينية في حياة الاتحاد السوفيتي وأوروبا الاشتراكية عنوانا قاسيا لها. وكان حنين (تاركوفسكي) شأنه شأن حنين (برتولد بريخت) الشاعر والمسرحي الألماني العظيم الذي طاردته النازية وذهب إلي أمريكا وهناك اختبر أشكال القمع الخفي والمعلن للمبدعين، واليساريين منهم بخاصة في ظل مرحلة المكارثية التي قامت أثناءها المخابرات المركزية الأمريكية والمباحث الفيدرالية بأكبر عملية قمع وملاحقة ضد الكتاب والمفكرين والسينمائيين ما أدى إلى انتحار بعضهم وهجرة الآخر وتحول البعض إلى مخبرين وصمت آخرون إلى الأبد، وتشكل هذه المرحلة واحدة من النقاط السود الكثيرة في ثوب الرأسمالية.

عاد (تاركوفسكي) بذاكرته السينمائية إلى العالم الاشتراكي يقوده الحنين، وعاد (بريخت) فعليا يقوده المثل الأعلى إلى بلده ألمانيا الديمقراطية رغم إدراكه لوجود أشكال من الرقابة والحصار ليؤسس مع زوجته الفنانة (جيلينا فايجل) وعدد من أصدقائه فرقة (البرلنر إنسمبل) المسرحية التي طبق على عروضها نظرياته المسرحية في الآراء والإخراج والتي هزت العالم وشكلت نقلة نوعية في تاريخ المسرح العالمي تحت عنوان (المسرح الملحمي)، وعاش بريخت وأبدع في برلين الشرقية رغم كل الصعوبات، ومات قبل انهيار المنظومة الاشتراكية التي حولتها الدعاية الرأسمالية إلى أمثولة في قمع الحريات ومصادرة المبدعين مع طمس كل ما أنجزته التجربة من أعمال عظيمة، وما أنتجته من قيم وأفكار ومثل عليا ونظم رعائية.

ولم يمهلنا التاريخ سوى عشرين عاما ليكتشف ملايين البشر أنهم كانوا مخدوعين حين اندفعوا للتظاهر في بلدان المنظومة الاشتراكية منددين بالنظم الديكتاتورية التي سيطرت على هذه البلدان في ظل الحرب الباردة وتحت راية الاشتراكية، واكتشفوا أيضا أن النظم التي قامت بعد الثورة الاشتراكية الكبرى في روسيا عام ١٩١٧ ثم في بلدان شرق أوروبا كان يمكن إصلاحها بدلا من تقويضها، ولكن عملية التقويض الشامل كانت نتيجة مخطط كوني وحشي لا فحسب لإسقاط التجربة الأولى التي خاضها ملايين البشر ببسالة لتجاوز النظام الرأسمالي وإنما أيضا استهدفت العملية القضاء الكامل على هذا الحلم نفسه، بل وتجريم التطلع إلى عالم أفضل ترفرف عليه رايات العدالة والكرامة البشرية والمساواة بإلغاء الاستغلال وإحلال التضامن الإنساني المبدع محله، ووقف نزيف الحروب والعمل الحثيث من أجل تعايش سلمي دعا إليه (لينين) زعيم الثورة الاشتراكية الأولى لدى تأسيس نظام الدولة السوفيتية وبعد التدخل المسلح لإجهاضها من بدايتها قامت به أربع عشرة دولة استعمارية.

وفي زيارة أخيرة لي لألمانيا التي تحتفل بذكرى توحيدها العشرين قال لي أصدقاء عاشوا فيها في ظل النظامين أي قبل التوحيد وبعده إن في أوساط الألمان الشرقيين الذين تعرضوا لأشكال من التمييز الصريح بعد سقوط حائط برلين حنين جارف لأيام الاشتراكية، وإن كان أحد لا يطالب بعودة الانفصال، لأن الوحدة القومية كانت أحد آمالهم العظيمة طيلة سنوات الحرب الباردة، وقد تعرض كل أساتذة الجامعات في ألمانيا الشرقية السابقة للاستبعاد شأنهم شأن كل السفراء والعاملين في السلك الدبلوماسي وهؤلاء يتضاعف الحنين للماضي في أوساطهم.

كانت النظم الاشتراكية التي ركدت ثم انهارت بفعل مجموعة من العوامل والتدخلات الإمبريالية السرية قد أنشأت شبكة من النظم الرعائية الاجتماعية من الصحة والتعليم والإسكان والنقل والترفيه والثقافة ورعاية الكبار مايزال الناس يتذكرونها بكل خير ويتحسرون على انهيارها، بل إن بعض هذه النظم خاصة دور حضانة الأطفال قد أخذت تتأسس من جديد على نفس النمط القديم.

وكان انفجار أزمة الرأسمالية العالمية في العامين الأخيرين مناسبة لإعادة طرح المثل العليا للاشتراكية على جدول أعمال التاريخ، وليصبح الحنين الذي تشعر به الملايين تجاه التجربة التي سقطت مرشدا لها في سعيها لمواجهة آثار الأزمة الاقتصادية.

ويصبح تجاوز الرأسمالية مجددا هدفا - ولو بعيدا - لملايين الكادحين في كل أنحاء العالم ولم تتوقف أجهزة الدعاية الرأسمالية الجبارة عن تشويه تاريخ الاشتراكية معتمدة من جهة علي الممارسات المعادية للإنسانية التي مارستها بعض هذه النظم التي انهارت ومن جهة أخرى على ترسانة الأفكار الجاهزة والمستجدة ضد الاشتراكية وللسخرية من فكرتها المركزية وهي تصفية كل أشكال الاستغلال، وتحرير البشر كافة من كل صنوف الخوف والحاجة، وإزالة كل العقبات أمام تطورهم الحر وقدراتهم الإبداعية ومواهبهم التي طالما جرى قمعها بسبب الفقر أو القهر والمصادرة والتمييز في المجتمع الطبقي.

ويتضمن هذا الحنين للاشتراكية اعتذارا عن الاندفاع المهووس قبل عشرين عاما لتقويضها بدلا من إصلاحها.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:

١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .

٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

٣. لا تزيد المادة على ٧٠٠ كلمة.

ideas@almadapaper.net